مقتطف

أين تبدأ حدود القصيدة وأين تنتهي؟

سبع طرق لقول تفّاحة

جزء كبير من القصائد الرديئة كُتِب باسم الصدق والجمال والمشاعر الطيّبة، ظنّاً أن تسمية ضوء القمر أو تشبيه امرأة بتمثال يكفيان ليولَد ما نُسمّيه شعراً. إن القصيدة العظيمة لا تُحَدُّ بوصف الأشياء ولا بإحصائها، وإنما تخترعها أو تنشئها

بنخامين برادو

ما الذي ليس شعرًا؟ هل هناك أشياء لا يمكن كتابة قصيدة عنها؟ أو على النقيض، هل الشعر- كالمسرح والرواية - نوع أدبي قادر على التكيّف مع أيّ موضوع وتناوُل أيّ أمر؟ بالطبع لا يزال الكثير من الأشخاص مستعدّين للردّ إيجابًا على السؤال الثاني، ونفيًا على الثالث. يُجيبون أن الشعر ينتمي لعالم الغابات والملائكة، ويقع تحت سُلطة الليل، ويتعلّق بالأشياء الجميلة والأحاسيس الصادقة، وأنه عندما يكتب أحدٌ قصيدةً ما فإنه يكتبها . قبل كلّ شيء . ليقول الحقيقة.

ما من شيء صحيح في هذا. وليس غير صحيح فقط، وإنما من بين كلّ الأفكار التي يُمكن أن تكون لدى أحد عن الشعر، هذه هي أكثرها ضررًا بالشعر. إنّ جزءًا كبيرًا من القصائد الرديئة الموجودة كُتِب باسم الصدق والجمال والمشاعر الطيّبة؛ ربّما ظنًّا أن هذا يكفي؛ أنّ تسمية ضوء القمر أو تشبيه امرأة بتمثال يكفيان ليولَد ما نُسمّيه شعرًا. ومع ذلك، فهذه نظرة سطحية.

إن القصيدة العظيمة لا تُحَدُّ بوصف الأشياء ولا بإحصائها، وإنّما تخترعها أو تنشئها، تنتزعها من الظلمة وتُحيلُها أشياء أخرى.

إن القصيدة العظيمة ليست قائمةَ جردٍ لكنزٍ ما، بل هي طريقة للتنقيب عنه. ليس الشاعرُ المؤثّر ذلك الذي يحدّثنا عن القمر، ولا الذي ينجح في أن يوهمنا أنّنا نتأمله. الشاعر المؤثّر هو الذي يُفسّرُ لنا شيئًا لم نكن نعرفه عن القمر، هو الذي ينجح في أن يجعلنا نعجز عن النظر إليه كما كنّا ننظر إليه من قبل، فنراه بصورة أكمل، مثلما يحدث حينما نعرف شيئًا كنّا نجهله عن السماء، وربّما عن أنفسنا نحن. وهذا أمرٌ متحقِّقٌ بالحديث عن القمر أو عن وردة، لكنه يتحقّق كذلك بالحديث عن بَصَلة بسيطة، كما يفعل الشاعر الاستثنائي بابلو نيرودا في إحدى قصائد ديوانه «أناشيد ابتدائية»:

«بصلةٌ،
مضيئة ككوكب،
مخلوقة لتلمعي،
مجموعة من النجوم ثابتة،
وردة مستديرة من الماء
على طاولة الفقراء.
كريمة
تفكّين الكرة الطازجة
في الإناء الذي تنضجين فيه بحرارة،
وعلى حرّ الزيت المشتعل
تستحيل قطعة الزجاج
ريشة مجعّدة من الذهب
سأتذكّر أيضًا كيف لقّحَ أثركِ
حُبُّ السلطة
ويبدو أن السماء تساهم
بمنحك تلك الهيئة الرقيقة لحبّة بَرَد
لتحتفي بصفائك المبشور
على نصفَيْ ثمرة الطماطم.
[…]
إنني احتفيتُ يا بصلة بكلّ ما هو كائن،
لكنّكِ عندي
أجمل من طائر
ذي ريش لامع
أنت في عيني
كرةٌ سماوية، كأسٌ من البلاتين
رقصةٌ بلا حركة
لزهرة من شقائق النعمان تساقطت عليها
الثلوج...
ويعيش عطر الأرض
في طبيعتك البلّورية».

بنخامين برادو خلال قراءة في مؤسسة «بيت أميركا»، مدريد، 2019

إن قراءة هذه الأبيات بلا شك عمليّةُ تحوُّل حقيقية، وهي بالمثل نوعٌ من الإقرار بأن مالارميه لم يُخطئ حين كتب أن العالم خُلِق ليكون في كتاب جميل. العالم كلّه، بكلّ غروب شمس وكلِّ بالوعة، بكلّ بصلة وكلّ جرف. ومع ذلك، فالطريق نحو قلب الأشياء . والذي يقع، كما رأينا في هذين المقطعين من قصيدة نيرودا، داخل الأشياء ذاتها، لكنه أيضًا يتجاوزها . ليس سهلًا، ويتطلّب عملًا دؤوبًا ومعقّدًا. يستلزم صراعًا غير متكافئ مع المعاجم وقواعد اللغة لإيجاد الكلمات الضرورية من بين ملايين الكلمات المحتملة؛ لأنّ هذا هو أوّل إحساس تُثيره قصيدة جيدة، إحساس أنها صُنِعت بالضبط من الكلمات التي احتاجتها لتقول ما تقوله بالطريقة التي تقوله بها. إن فكرة العمل الشاق هذه بالطبع عكسُ فكرةٍ أخرى واسعة الانتشار ولها مكانة غير مستحقّة، كما أنها أيضًا ربما تكون - بصورة يستعصي إصلاحها - قد ألحقت ضررًا بالشعر وبمفهوم كثير من الناس عنه: فكرة الإلهام. ما هو الإلهام؟ هل هو طريقة لإنشاء علاقة مصاهرة بين الشعراء والآلهة؟ أو طريقة للإشارة إليهم كأنهم كائنات خارقة للطبيعة ومختلفةٌ عن بقيّة البشر، نصف بشر ونصف ما ورائي؟ هل هو طريق مختصر للوصول إلى الهدف دون ركض، أو لإدراك النصر دون خوض المعركة؟

> ليستِ القصيدة قائمةَ جرد لكنز ما، بل هي التنقيبُ عنه

> الشاعر الجيد هو الذي يعلمنا شيئاً لم نكن نعرفه عن القمر

يقول بول فاليري: «ينحصر الشاعر المُلهَم في تسليم ما يملكه من المجهول إلى مجهولين». من جهتي، أظنّ أنه جرى تجاوُز هذه المسألة، إلا إن كنّا مستعدين لأن نسمّي شيئا آخر بالإلهام، ذاك الذي يحدث في اللحظة التي يجد المرء فيها الصفة الملائمة أو التشبيه المناسب بعد البحث عنه لساعات أو أيام؛ تلك اللحظة التي يعرف فيها المرء أن البصلة هي أيضًا وردة مستديرة من الماء وكأس من البلاتين وزهرة من شقائق النعمان عليها قطع الثلج. لكي يحدث هذا، لا يحتاج الشاعر المطبوع عادة إلى بذل جهد كبير، إلى أن يشطب ويعيد ويحذف مئات من الاختيارات حتى يصل إلى ما يريد، مثلما يفعل عامل المنجم الذي يَمضي بصبر وإصرار في هدم كلّ ما ليس ذهبًا وتنحيته جانبًا، كلّ ما يبعده أو يفصله عن الذهب الذي يبحث عنه. إننا بصدد عمل مُضنٍ وفرديّ مليء بأسئلة دون إجابة وبمتاهاتٍ دون مخرَج، لكنه عمومًا الطريق الوحيد. قال ويليام بتلر ييتس: «بجَدَلِنَا مع الآخرين نصنع البلاغة، وبجَدَلِنَاَ مع أنفسنا نصنع الشعر»، وكان على حقّ.يستلزم الوصول إلى القصيدة ونقلها إلى ذلك الجانب المتجاوز عادةً الذهاب بعيدًا جدًّا في ذلك الجدل الذي كان ييتس يتحدّث عنه. ولنتذكّرْ أنه لا يكفي إحصاء أو عكس الأشياء، أنّ حزن غابة خريفية لا يُعاد إنتاجه ويوضع على الورق بقياس أقطار الأشجار وحرارة الجوّ وسرعة الرياح، ولكن بتحويله إلى شيء آخر، إلى شيء يكون قادرًا على تلخيصه كقدرتِه على تجاوزه.

(ترجمة: أحمد محسن غنيم، والنصّ مقتطفٌ من الفصل الأوّل من كتاب بالعنوان نفسه لبرادو، تصدر ترجمته العربية قريباً لدى «مسعى للنشر والتوزيع»)

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

بطاقة

بنخامين برادو، شاعر وكاتب إسباني، من مواليد مدريد (1961). له أكثر من ثلاثين عملاً بين مجموعات شعرية وروايات ومقالات وأنطولوجيات. صدرت مجموعته الشعرية الأولى عام 1986، بعنوان «حالة بسيطة». منذ صدور كتابه «سبع طرق لقول تفّاحة» (الغلاف) عام 2000، الذي نترجم هنا مقتطفاً من فصله الأوّل، نشر العديد من الكتب التي يتناول فيها مسألة الشعر والكتابة، مثل «أسماء أنتيغونا» (2001)، و«أكثر من كلمات» (2015).

معرض

آرثر تيموثي وصفُ غانا ما بعد الاستعمار

عودة إلى ألبوم العائلة

في معرضه «يدا الجدّة» المقام حالياً بلندن، يتناول التشكيلي الغاني تاريخ بلاده السياسي انطلاقاً من ألبومات صور خاصّة بعائلته المنفية

لندن ـ **العربي الجديد**

«حدّ فاصل»، زيت على كتان، 150× 200 سم، 2021 (من المعرض)

في تتبّعه الأمكنة التي عاشها، ولا تزال عائلته تحتفظ بأرشيفات فوتوغرافية لإقامتها فيها، التقط التشكيلي آرثر تيموثي (1957) ذلك الخيط الذي يربط بين سيرته الذاتية - وهو المولود لأب من سيراليون وأم غانية - وبين التغيّرات الاجتماعية والسياسية التي تعيشها بلدان غربي أفريقيا بعد الاستعمار. ألبوم العائلة الذي يحتوي مئات الصور بالأبيض والأسود، ومجموعة المؤلّفات حول الثورة التي اندلعت في بلاده خلال الخمسينيات وحقّقت استقلاله بعد عدّة سنوات، كانا الباعث لتحويل الفوتوغراف إلى لوحات زيتية تحتوي مشاهد يومية تمتدّ لأكثر من خمسين عاماً.

«يدا الجدّة» هو عنوان معرض تيموثي الذي افتُتح في الثامن والعشرين من الشهر الماضي في «غاليري 1957» بلندن، ويتواصل حتى الأول من الشهر المقبل، ويضمّ أعمالاً رُسمت جميعها هذا العام وتمثّل وثيقة لتقلّبات تلك السنين وأثرها على أسرة عاشت في الوطن والمنفى. يستمّد المعرض عنوانه من لوحة لجدّة الفنان وهي ترتدي نظّارات سوداء بعد إجراء عملية إعتام عدسة العين من أجل تقوية بصرها، في إشارة إلى تزامن ذلك مع إعادة اكتشاف تاريخ ظلّ حبيس الأدراج. كما يقدّمه المنظّمون بدءاً من لوحة «الصحافي» التي يظهر فيها والد تيموثي الذي كان صديقاً لكوامي نكروما، أوّل رئيس لغانا، قبل أن يختلفا ويُفصَل من صحيفة «ديلي غرافيك»، بعد نشره مقالاً ينتقد فيه سياسات الرئيس، ما اضطرّه لمغادرة البلاد إثر صدور حكم قضائي باعتقاله.

في لوحتَي «الشاهد» و«حد فاصل»، رسّم الفنان العديد من الشخصيات السياسية الغانية، مثل وزير الخارجية كوغو بوتسيو خلال انعقاد أولى جلسات الحكومة عام 1957 بعد توقيع معاهدة الاستقلال بحضور نوّاب من البرلمان البريطاني، كما تصوّر أعمالُ أخرى مغادرةَ الأسرة للإقامة في منزل جدته بفريتاون؛ عاصمة سيراليون.

> لوحات تربط بين سيرة الفنان والتغيرات الاجتماعية والسياسية في بلده

تحضر الخالة مابيل دوف دانكوه، التي كانت كاتبة وناشطة سياسية ومنخرطة في الحركات النسوية، في لوحة وهي على عتبات سفارة بلادها في لندن، حيث شاركت في العديد من الاحتجاجات المناهضة للسلطات الديكتاتورية في غانا، بينما رسم تيموثي خالته إيفلين دوف؛ المغنية والممثّلة التي عاشت حياتها بين أكرا ولندن، وكذلك والدته إيلين، في بيت والدهما، المحامي فرانس دوف.

يشكّل المعرض قراءة جديدة لحياة عائلة توزّع أفرادها بين العمل العام والمحاماة والفن، بعد عملية بحث طويلة من أجل ربط صورهم مع السياقات السياسية التي فرضت على جميع هذه الشخصيات أن تتفرّق وتعود مجتمعة في تسع عشرة لوحة متجاوزة. يشير تيموثي إلى الحلم الذي راود والده في بناء دولة وطنية ديمقراطية بعد زوال الاستعمار البريطاني، لكنّ الثورة التي كانت تطالب بالحرية تخلّى عنها أبناؤها عقب استلامهم الحكم، ثم وجدت النخبة الغانية نفسها أمام خيارين: إمّا المشاركة في صناعة الاستبداد، أو العيش في المنافي، كما حدث مع عائلته.

زيارة موقع

صورٌ وأصوات تقود إلى الحياة نفسها

إيتيل عدنان

تلقي هذه الزاوية الضوء على موقع إلكتروني لمبدع عربي، في محاولة لقراءة انشغالاته عبر فضاء استحدثته التكنولوجيا وبات أشبه ببطاقة هوية

باريس ـ **العربي الجديد**

ما إن يدخل الزائر موقع الفنانة والشاعرة إيتيل عدنان حتى يُحسّ بتطابق بين اشتغالاتها الكتابية والبصرية وبين أناقة الموقع وبساطته. موقعٌ لا يلجأ، في خطوطه وواجهته، إلّا إلى لونين: أسود وأبيض، تعتليه خطوطٌ مائلة ترسم مستطيلاً يحمل داخله اسم الفنانة وصورةً لها أمام تضاريس طبيعية. لكنّ أيّ تحرُّك من زائر الموقع إلى حُجراته الداخلية سيقوده إلى مهرجان من الألوان الذي تحفل فيه مواد الموقع/ أعمالُ إيتيل عدنان، من دون أن يُخِلّ ذلك ببساطته البصرية.

يُفتَتح الموقع بقسم مخصّص لسيرة الفنانة والشاعرة، حيث يُذكّرنا بأنها مولودة في بيروت عام 1925، وأن والدها كان مسؤولاً عثمانياً رفيعاً يعمل في دمشق. تعود سطور التعريف - الغنيّة رغم اقتضابها - إلى مسيرة عدنان الدراسية (درست في مؤسسات فرنسية بلبنان، قبل الانتقال إلى «السوربون» في باريس ومن ثم إلى جامعة كاليفورنيا)، التي تتقاطع مع تنقّلاتها بين جغرافيات ستشكّل خريطتها الشخصية وخريطة أعمالها: لبنان وفرنسا والولايات المتّحدة. ستشهد الستينيات تحوُّلاً في تجربة مدرّسة الفلسفة آنذاك، حيث سيدفعُها وقوفُها مع قضية الشعب الجزائري في تحرّره من الاستعمار الفرنسي إلى التساؤل عن المعاني السياسية التي تترتّب على الكتابة بلغة المستعمِر، الأمر الذي دعاها إلى مغادرة النصوص إلى الأعمال البصرية.

إلى جانب هذه السيرة - التي تتوقّف أيضاً عند عودة عدنان إلى لبنان ومغادرتها إياه بُعيد اندلاع الحرب الأهلية، يتفرّع الموقع إلى أقسام حول إصداراتها الفنية، وأعمالها في التشكيل والفيديو، إضافة إلى مراجعات حول نتاجها، وصور، وقسم لما كُتب عنها أو الحوارات التي أجرتها في الصحافة. ولا بدّ هنا من التذكير بأن الإنكليزية هي اللغة الوحيدة للموقع الذي صمّمته فنانة الغرافيك الأميركية هـ. ر. هيغناور.

ما يميّز موقع عدنان عن مواقع شعراء وكتّاب آخرين، هو قسم «الأوديو»، حيث نسمع الشاعرة تقرأ من «يوم القيامة العربي»، هذا الكتاب/القصيدة الذي تروي فيه مآسي بيروت وتحكي عن الحرب الأهلية، كما تقرأ مقاطع من كتابها «فصول»، ومجموعة من قصائدها عن الحب. إلى جانب مقابلة معها، وقراءات من أعمالها بصوت التشكيلية اللبنانية سيمون فتال، وقراءات كانت قدّمتها عدنان عام 1988، في «مركز الشعر في جامعة ولاية سان فرانسيسكو»، قدّمت خلالها «الحواس الخمسة لموت واحد» و«نشر الغيوم» و«زقاق من أشجار الزيزفون والبرق».

ونجد في قسم المنشورات أغلفةً لكتبها ولكتب عنها أيضاً، مثل كتاب «أن تنظر إلى البحر وتصبح ما أنت عليه: قارئ إيتيل عدنان» من تأليف أميل ألكالاي وكول سوينسن. أمّا مؤلفات عدنان نفسها، فنجد في الموقع تذكيرا بكلّ من «بحر وضباب»، و«الصفحة التاسعة»، و«لم يكن لدى الهندي أبداً حصان»، و«هناك: في ضوء وعتمة الذات والآخر»، و«باريس، عندما تتعرّى»، و«رحلة إلى جبل مونتالبايبس»، و«الحواس الخمسة للموت»، و«من الألف إلى الياء» وغيرها. لكنّنا لا نجد مقتطفات من الكتب في الموقع، وإنما مراجعات مختلفة عنها. وفي قسم الفيديو نرى ونسمع إيتيل في أمسيات مختلفة وفي مقابلات وندوات في جامعات فرنسية وأميركية، وكذلك يرصد قسم الأخبار بعضاً من أمسياتها وإصداراتها، لكنّ آخر تحديث لهذه الصفحة يعود إلى عام 2015.

> النقص الأكبر في الموقع يتعلّق بعدم توفّر نسخة عربية منه

ينقص موقع إيتيل عدنان أن يضمّ أعمالها في لغات أخرى، ولا سيّما العربية، وأن يوفّر بعض المقتطفات من كتاباتها للقراءة والاطّلاع. لكنّ النقص الأكبر يتعلّق بعدم توفّر نسخة عربية من الموقع تعرض أثرها وأعمالها الأدبية والبصرية التي تفضي في كثير منها إلى الثقافة العربية أو تُحيل إليها أو تمتح منها، خصوصاً أن صِلات الفنانة مع ثقافتها الأولى، ومع مسقط رأسها، بيروت، لم تنقطع أبداً.

إيتيل عدنان في منزلها بباريس، 2015 (Getty)

فعاليات

حتى 31 من تشرين الأول/أكتوبر المقبل، يتواصل في **الغاليري الوطني** بلندن معرض **بيلوتو: لمّ شمل مشاهدات كونيغشتاين**، الذي افتُتح في الثاني والعشرين من تموز/يوليو الماضي، مع تقديم يُبرز الدراسات التي حلّلت لوحات الفنان الإيطالي (1721-1780) التي رسم فيها قلعة كونيغشتاين بألمانيا.

ضمن فعاليات **الدوحة عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي**، ينطلق عند العاشرة من صباح الإثنين المقبل، في «مركز فتيات الخور» بالعاصمة القطرية، معرض **أَعِد الحياةَ لكتاب** الذي يتواصل حتى الثالث والعشرين من الشهر الجاري. يحتوي المعرض على كتب قديمة ومستعملة في حقول معرفية متعدّدة، إلى جانب المؤلّفات التراثية، كما تقام مجموعة من الورش الثقافية المرافقة.

مفتاح شهرة عنوان المسرحية التي تُعرض عند الثامنة من مساء الخميس المقبل، على خشبة «مسرح الهناجر للفنون» في القاهرة، ضمن فعاليات الدورة الأولى من **مهرجان إيزيس الدولي لمسرح المرأة**. العمل من تأليف وإخراج **دعاء حمزة**، ويتناول مأساة الممثل الكومبارس الذي لا يُثَمَّن أداؤه في صناعة العرض.

ينظّم «فضاء ركس» في عمّان فعالية **من الفرن: عرض حكايات شعبية**، عند التاسعة من صباح الجمعة المقبل، تقدّمه الحكواتية **سالي شلبي**. يتضمّن العرض قصصاً مثل «منام السلطان»، و«ست الشام ومحمود»، و«قصة مريم الحمقاء»، وكانت شلبي قد بدأت تجربتها منذ عام 2005 بتقديم قصص من آداب عالمية وأخرى تراثية.